

المصادر والمراجع لكتاب كشف المحجوب

حافظ محمد اكرم الازمري ☆

أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الجلابي الهجويري الغزنوي كان عالماً من علماء الصوفية في القرن الخامس الهجري وكان من أوائل دعاة الإسلام في شبه القارة الهندية وقد ألف كتاباً قيماً عن علم التصوف وتعاليمه بعنوان: كشف المحجوب وتناول فيه أصول الطريقة ومكانة الصوفية ومعاملتهم وآداب السلوك والزهد وحاول الإمام الهجويري في هذا الكتاب منهجاً متكاملًا لعلم التصوف وأصوله وفروعه وآدابه و ضوابطه ليثبت أن العلم بالتصوف أصولاً راسخة علي أسس علمية سليمة وثابتة بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة وبأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عنهم أجمعين -

واطلق الإمام الهجويري علي كتابه اسم " كشف المحجوب وشرح هدف من هذه التسمية فقال : أين كتاب را كشف المحجوب نام كردم مراد آن بودكه تانام كتاب ناطق باشد بر آنچه اندر كتابست مر كروهي راكه بصيرت بود جون نام كتاب بشنوند دانند كه مراد ازان بوده است -

سميت هذا الكتاب كشف المحجوب والمقصود به أنه طالما كان اسم الكتاب علي ما فيه، فإن أهل البصيرة حين يسمعون اسم هذا الكتاب يعرفون ما كان الغرض منه - وقد اعتمد علي بن عثمان الهجويري في تأليف كتابه عدة الكتب العربية كمثال كتاب اللمع ، وطبقات الصوفية ، والرسالة القشرية من أمهات الكتب لعلم التصوف وكتب الاساسية - فقد افاد من هذا الكتاب ممن جاءوا بعده من المؤلفين العرب والعجم والمستشرقين ممن شغلوا بدراسة التصوف الاسلامي - و نحن بصدد ان نتحدث منهج هذا الكتاب مصادر ومراجع ومكانته العلمية بين كتب التصوف في زمن الماضي والحاضر -

☆ الا ستاذ للمساعد بقسم اللغة العربية وآدابها جامعه اسلاميه بهاولپور

وكتاب كشف المحجوب يعتبر أقدم كتاب في التصوف باللغة الفارسية وتاريخ كشف المحجوب غير معروف على وجه التحديد و الراجح ان الامام الهجویری بداه حوالی سنة 435هـ واتمه حوالی سنة 442هـ-

واذا امعن النظر في كتاب كشف المحجوب ، نجد فيه بكثير من الآيات القرآنية وردت فيه ، واستخدم الامام الهجویری حوالی ٢٣٦ آية قرآنية (١) واستيعاب معانيه بمعرفة كاملة ، وتناول المغزى العميق الذي تسيطر عليه الآية وكان يستشهد هذه الآيات لاثبات الآراء والفكرة التي يذهب اليها، ويرجع الى بعضها ليجلو معنى اسماء البعض لتفهمه، ويشرح بعضها ليطلع المقارئ على المغزى الذي تنطوى عليه ، ويؤكد بهذا المنهج البديع الاسس والاصول الصوفية والضوابط الراسخة لتصوف الاسلامي-

والى جوار الآيات استخدم الامام الهجویری الاحاديث النبوية بالكثرة وعددها 138 حديثا وشرح شرحا وافيا مما يدل على المامه الكبير بعلم الحديث النبوى الشريف وبالإضافة الى الايات القرآنية والاحاديث، والاقوال الصحابة والتابعين فقد روى عنه ما يقرب من خمسمائة قول لساده الصوفية، والمشائخ الكرام الاوائل والمعاصرين له- تحدث الامام الهجویری في كتابه الاحكام الشرعية للطهارة (٢)

والصلاة (٣) والزكاة (٤) والصوم والحج (٥) و يبين في دقة الاحكام الشرعية لهذه العبادات من الناحية الفقهية- اى من ناحية ظاهرها واحكامها التي تجرى على الجوارح- ثم يشرح المعانى الباطنية التي تحتوى عليها، ومما يدخل في نطاق المفهوم الصوفي لهذه العبادات المخلصة -ويبدو انه درس الفقه على مذهب الامام ابي حنيفة ، فقد صرح في ترجمته له بانه كان يميل اليه ويتفق مذهبه (6)

فقد درس الهجویری اللغتين الفارسية والعربية، واجادها اجادة تامة من ان يمस्क بزمام اللغتين، فينقل من احدهما الى الاخرى في سهولة ويسر-وقد حرص دائما على ترجمة الاحاديث والاقوال الماثورة واقوال شيوخ الصوفية الى اللغة الفارسية ،، وكثيرا ما

يشرح هذه الاحاديث والاقوال بالفارسية بما يبين المعانى الواسعة لها او النواحي الغامضة فيها.

والحق ان هذه الترجمات والشروح فيها الدليل الكافي على مدى اجادته للغتين، والمامة بدقائق كل منهما- وفي الكتاب ايضا نجد كثيرا من الاشعار والاشارات الادبية الفارسية والعربية، التي استعملها الهجویری في مواضعها الصحيحة مما ينبىء عن فهم عميق وذوق ادبی سليم بدراسة واعية للادب واطلاع على الآثار الادبية، وفي الحقيقة أن الذوق الادبی موهبة فطرية في الانسان، تصقل هذه الموهبة بكثرة المطالعة والذوق السليم.

(٤)

اعتمد الهجویری في كتابه على مصادر متعددة، واستقى مادته من منابع مختلفة، منها الروايات الشفوية، ومنها الكتب والرسائل المدونة، ويظهر من خلال دراسة كشف المحجوب ان الامام الهجویری كان على علم تام باعمال اسلافه ، وهو يعدد مصادره ويذكرها بالاسم تارة، ويكتفى بان يشير الى اسماء مؤلفيها تارة اخرى-

ويمكن ان نقسم مصادر كشف المحجوب الى قسمين:

اولا: الروايات الشفوية:

لا شك ان المرويات الشفوية كانت المصدر الاول الذي استمد منه الهجویری مادة

كتابه ، وقد لا حظنا انه كثيرا مايردد في الكتاب عبارات :

سمعت فلانا يقول كذا----- (٨)

سالت فلانا عن كذا ، فقال (٩)

كنت عند فلان ، فقال واحد ، فقال كذا----- (١٠)

جرت لى مناظرة مع واحد ، فقال كذا----- (١١)

اتفق لى صحبة احد الادعياء ، فقال كذا----- (١٢)

روى لى فلان عن فلان كذا----- (١٣)

وقد تكونت حصيلة الهجویری من هذه الروایات بالرحلات التي قام بها (١٣) فقد رحل كثيرا، وزار اماكن متعددة من العالم الاسلامی ، وامكنه عن طريق هذه الرحلات الاتصال بكثير من كبار رجال الدين والأئمة والصوفية في عصره ، والممثلين الصادقين والادعياء للمذاهب والفرق المختلفة، وتجادل معهم في المسائل التي كان يتهم بها-وجاهد في الوقت نفسه لكي يستطلع آراءهم ويقف على مذاهبهم ، ويقدر مدى قربهم-أو بعدهم عن اهل السنة، ومدى تمسكهم باحكام الشريعة الاسلاميه وفي احكامه الصادقة على آرائهم ومذاهبهم ومختلف المسائل التي اوردها في كتابه او تعرض لمناقشتها-

ثانيا: الكتب والرسائل المدونة:

رجع الامام الهجویری الى كثير من الكتب والرسائل التي كانت معروفة على عهده-ويمكن ان نقسم مصادره من هذا النوع الى ثلاث مجموعات-

المجموعة الاولى: الكتب التي رجع اليها وذكر اسماء هما واسماء مؤلفيها ونقل عنها في كتابه ونص على ذلك صراحة ، وهي:

اولا: كتاب (اللمع) لابی نصر السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨هـ-

اشار الهجویری الى هذا الكتاب في باب آدابهم في الصحبة، وذكر انه استفاد

بهذا الكتاب ونقل عنه ، واورد النصوص باللغة العربية (١٣)

ثانيا: كتاب المحبة: لعمر بن عثمان المكي المتوفى سنة 297هـ-

وذكر الهجویری اسم هذا الكتاب في باب المحبة ، ونقل عنه نصوص و ترجمه الى

اللغة الفارسية وصرح بانه استفاد كثيرا عنه (١٥)

ثالثا: كتب ابی عبدالرحمن السلي المتوفى سنة ٣١٢هـ

اعتمد الامام الهجویری على كتب ثلاثة من مؤلفات ابی عبدالرحمن السلي ، وهي:

كتاب تاريخ اهل الصفة ، كتاب طبقات الصوفية، كتاب السماع-

اما كتاب تاريخ اهل الصفة فقد اشار اليه في قوله ماترجمته:

"وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه - وكان نقال الطريقة وراوى أقوال المشايخ ، كتابا منفردا فى تاريخ أهل الصفة ، وأورد فيه مناقبهم وفضائلهم وأسماءهم وكنياتهم" (١٦)

وكتاب طبقات الصوفية فقد ذكر الإمام الهجویری انه هذا حذوه فى ترتيبه لتراجم الشيوخ (١٧)

وأما كتاب السماع فقد ورد ذكره فى باب السماع حيث يقول الهجویری ما ترجمته "وقد روى الصحابة رضوان الله عليهم مثل هذا ، وجمعه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فى كتاب السماع ، وقطع بابا حثه" (١٨)

رابعا: كتاب (تاريخ المشايخ) لمحمد بن على الترمذی المتوفى سنة ٢٨٥ هـ -

خامسا: (الرسالة) لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٣٦٥ هـ
أشار الهجویری الى الرسالة القشيرية إشارة غير مباشرة عند ترجمته لمعروف الكرخي ، حيث يقول ما ترجمته:

"وكان من الموابج ذكره قبل هذا ، ولكنى ذكرته فى هذا الموضع موانقة لاثفين من شيوخ: أحدهما صاحب نقول ، والآخر صاحب تصرف: والأول هو الشيخ المبارك أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله الذى كتبه على هذا الترتيب ، والثانى الأستاذ أبو القاسم القشيري الذى ذكره فى كتابه على هذه الجملة" (١٩)

وبالرغم من ان الهجویری لم يذكر اسم الكتابين ، الا انه من الواضح من عباراته انه يعنى طبقات الصوفية والرسالة القشيرية -

غير ان افادة الهجویری من الرسالة القشيرية لم تكن مقصورة على هذا ، فمن الثابت انه ينقل عنها فى أماكن كثيرة من كتابه - ومعظم استشهاده من الأقوال والحكايات مأخوذة عن الرسالة دون زيادة ، وان كان فى بعض الأحيان يضيف عبارة من عنده لتوضيح المعنى -

كما يتضمن كتاب كشف المحجوب ترجمة فارسية لبعض فصول من الرسالة
القشيرية (٢٠)

سادسا: (حكايات عراقيان) (حكايات العراقيين):

وهي مجموعة من الحكايات عن شيوخ الصوفية من تصنيف بعض شيوخ العراق-
و الامام الهجویری ينقل عن هذه المجموعة ويذكرها مرة باسم (حكايات
عراقيان) (٢١)

ويكتفى مرة أخرى بان يشير اليها باسم (حكايات)-

المجموعة الثانية:

وهي الكتب والرسائل التي ذكر الهجویری اسماءها واسماء مؤلفيها، وصرح بانه
اطلع عليها وقراها، ولا شك انه افاد منها ، وان لم يشر الى انه ينقل عنها، مثل:
١- تصانيف الحسين بن منصور الحلاج المتوفى سنة ٣٠٩هـ-

وقد اشار الهجویری الى هذه التصانيف في ترجمته للحلاج حيث يقول:
"وله تصانيف زاهرة ، ورموز وكلام مهذب في الاصول والفروع، وانا على بن عثمان
الجلابي رايت له خمسين تصنيفها في بغداد ونواحيها، وبعضها في خوزستان وفارس
وخراسان" (٢٢)

٢- مؤلفات ابي جعفر بن المصباح الصيدلاني: يقول الهجویری عنه ما ترجمته
:"وكان من رؤساء المتصوفة ، وذا لسان طيب في التحقيق وميل عظيم الى الحسين بن
منصور -وقد قرأت بعض تصانيفه" (٢٣)

المجموعة الثالثة:

كتب اشار اليها الهجویری ، وهي نوعان:

(الف) الكتب التي ذكر اسماءها واسماء مؤلفيها، مثل:

١- مؤلفات الحكيم الترمذی، وهي:

آداب المريدين ، ختم الولاية، كتاب النهج، كتاب نواذر الاصول

٢- كتاب (مرآة الحكماء) لشاه بن شجاع الكرمانى

٣- كتاب (غلط الواجدین) لابی محمد روم

٤- كتاب (تصحیح الارادة) للجنید البغدادی

٥- كتاب (الرعاية بحقوق الله) لاحمد بن خصرويه

٦- كتاب (المرقعة) لابی معمر الاصفهانی

٧- كتاب (الرعاية) لابی عبدالله الحارث بن اسد المحاسبی

٨- كتاب فى (اباحة السماع) لمؤلف مجهول

(ب) التصانيف والتالیف التى اكتفى بذكر اسماء مؤلفيها ومصنفيها، وهى:

١- تصانيف يحيى بن معاذ الرازى

٢- تأليف ابى بكر الوراق

٣- آثار سهل بن عبدالله

٤- تصانيف احمد بن خصرويه

٥- تصانيف ابى سعيد الخراز-

وهكذا نجد تعدد المصادر التى اعتمد عليها الامام الهجویری فى كتابه كشف المحجوب، وهذا

الكتاب يحتل مكانة مرموقة فى تاريخ التصوف الاسلامي فى الماضى والى عصرنا الحاضر-

المصادر والمراجع والحواشي

١- كشف المحجوب ، انظر فهرست الآيات القرآنية، ص: ٥٨٠.

٢- السابق، ص: ٣٨٦.

٣- السابق، ص: ٢٠٢.

٤- السابق، ص: ٢١٣.

٥- السابق، ص: ٢٣٢.

٦- كشف المحجوب، ص: ١١٦.

٧- السابق، ص: ٢٠.

٨- كشف المحجوب، ص: ٢٠٧.

٩- السابق، ص: ٥٥.

١٠- السابق، ص: ٢١٣.

١١- السابق، ص: ١١٥.

١٢- السابق، ص: ٧٥.

١٣- السابق، ص: ٢٠٥.

١٤- السابق، ص: ٢٢٢.

١٥- كشف المحجوب، ص: ٢٩٩.

١٦- السابق، ص: ٩٨.

١٧- السابق، ص: ١٢١.

١٨- السابق، ص: ٥٢٣.

١٩- السابق، ص: ١٢١.

٢٠- السابق، ص: ٣٩٢

٢١- السابق، ص: ٥٢

٢٢- السابق، ص: ١٩٠

٢٣- السابق، ص: ٢١٥

٢٤- السابق، ص: ٢٢٣

٢٥- السابق، ص: ١٢٨